التَّطَرُّفُ الفِكْرِيُّ فِي التَّفْسِيرِ

"ظِلَالُ" سيِّد قُطْب نَمُوذَجاً

دراسة تحليلية نقدية""

الباحث/وائل عثمان سنبل

لدرجة الماجستير بنظام الساعات المعتمدة تخصص الدراسات الإسلامية

المبحث الأول

الجاهلية في الظلال؛ مفهومها، ولوازمها، ومن يندرج تحتها

إن الجاهلية التي لطالما دندن حولها صاحب الظلال، ولطالما وسم الناس كل الناس بها مرارا وتكرارا، ليست سوى الجاهلية المرادفة بل المطابقة للجاهلية الأولى؛ جاهلية الكفر والشرك؛ ذلك لأنه غالبا ما كان يأتي صراحة بالوصف بها مقرونا بالوصف بالارتداد عن الدين والتنكر له، وقليلا ما كان يتخلى عن تلك القرينة، فيعوضها بسياق هو أحد شفرة، وأقوى نصلا من سيف القرينة، يجد ذلك واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار كل من قرأ الظلال متجردا عن الميل والهوى.

إن من يطالع الظلال لن يجد أدنى صعوبة في إدراك مفهوم الجاهلية لدى مؤلفه، وقد أكثر من ذكره لها، حتى إنه لا يدع فرصة إلا وأشار إليها، ونبه عليها، وقد بلغ عدد مرات مجيئها بلفظها ما يجاوز الستين وخمس مئة مرة، وقد بلغ اهتمام صاحب الظلال بها مبلغا كبيرا، حتى إنه قد صرح بها في مقدمته تصريحا، وقد علق على ذلك من قال: "بمجرد الاطلاع على مقدمة تفسير "في ظلال القرآن" لن يحتاج الأمر إلى كبير عناء للوصول إلى الغاية التي يرمي إليها سيد قطب من كتابه؛ فهو لا يمهل القارئ سوى فقرتين صغيرتين قبل أن يصدمه بكلمات لم تُعهد في تفسير آخر، يفصح فيها عن مراده دون أي مواربات: "وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة، أنظر إلى تعاجب أهل هذه الجاهلية""(1)

وإذا تأملنا ما ذكره في ظلاله عن الجاهلية؛ نجده لا يصف بها فئة ما أو جماعة أو صنفا من الناس، بل يصف بها مجتمعات بكاملها، ففي معرض كلامه عن قول الله تعالى: "③♦🕔❋🕯❒③⑩♑⌻✍✁ ... "(2)، قال: "ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن

---

(1) انظر: مقال الكاتب والباحث الأردني نادر رزق، بموقع حفريات/ تقارير، تحت عنوان: في ظلال القرآن.. هل اختبأ التكفير خلف سحر البيان؟ بتاريخ: 25/ 10/ 2018م.

(2) سورة البقرة، الآية رقم 208.

بالإيمان، في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفته ثم تنكرت له، وارتدت إلى الجاهلية"[3].

وهو يرى الجاهلية وقد أطبقت على الآفاق، قد حلت محل الإسلام، وارتفعت رايتها، من بعد ما ارتكست وانتكست راية الدين والإسلام، وهو يعلن ذلك صراحة، من غير مواربة ولا تورية، ومن دون تعريض أو تمويه، فهو أينما يولي وجهه؛ لا يرى اليوم إلا رايتها، في كل مكان، وفوق كل راية، يتجلى ذلك بوضوح في معرض كلامه في قول الله تعالى: "[illegible]"[4] ، حيث يقول: "وكذلك طهر الإسلام هذه العلاقات حتى في دنيا الرقيق من وحل الجاهلية، الذي تتلبط فيه البشرية كلما ارتكست في الجاهلية، والذي تتلبط فيه اليوم في كل مكان؛ لأن رايات الجاهلية هي التي ترتفع في كل مكان، لا راية الإسلام"[5].

ومما يدل دلالة قاطعة على كون الجاهلية عنده هي جاهلية الشرك الأكبر والكفر المخرج من الملة؛ ما ذكره عند تعرضه لقول الله تعالى: "[illegible]"[6]، حيث قال: "أي مجتمع مسلم لن يوجد إلا بمثل هذه النشأة، لن يوجد اليوم أو غداً، إلا أن تقوم التي صاروا إليها، وهذه نقطة البدء، ثم تعقبها الفتنة والابتلاء كما حدث أول مرة فأما ناس فيفتنون ويرتدون، وأما ناس فيصدقون ما عاهدوا الله عليه فيقضون نحبهم ويموتون شهداء، وأما ناس فيصبرون ويصابرون ويصرون على الإسلام، ويكرهون أن يعودوا إلى الجاهلية كما يكره أحدهم أن يلقى في النار، حتى

(3) في ظلال القرآن، ط/دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون، (211/1).

(4) سورة النساء، من الآية رقم 25.

(5) في ظلال القرآن، (2/ 627)

(6) سورة يوسف، الآية رقم 55.

يحكم الله بينهم وبين قومهم بالحق، ويمكّن لهم في الأرض كما مكن للمسلمين أول مرة فيقوم في أرض من أرض الله نظام إسلامي"[7]
فليتأمل القارئ كيف جعل نقطة البدء: "أن تقوم دعوة لإدخال الناس في هذا الدين من جديد، وإخراجهم من الجاهلية"، بل إنه في موضع آخر بصفحة تالية، وفي غضون شرحه وتعليقه على الآية نفسها، كان أكثر وضوحا في تعريفنا بنقطة البدء هذه، فقد جعل يقول: "أنا أعرف نقطة البدء في هذه المتاهة، إنها هي افتراض أن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه مجتمع مسلم، وأن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية سيجاء بها لتطبق على هذا المجتمع الجاهلي بتركيبه العضوي الحاضر، وبقيمه وأخلاقه الحاضرة، هذه نقطة البدء في المتاهة، ومتى بدأ منها الباحث فإنه يبدأ في فراغ، ويوغل في هذا الفراغ، حتى يبعد في التيه، وحتى يأخذه الدوار، إن هذا المجتمع الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم"[8]
إنه لا يرى أصلا للمجتمع المسلم وجودا، فوجود المجتمع المسلم عنده إنما هو في ضمير الغيب، وبناء على ذلك فإن حاجات المجتمع المسلم الداعية إلى دراسة الفقه الإسلامي هي كذلك في ضمير الغيب؛ ولذا فهو يرى أنه لا جدوى من دراسة الفقه الإسلامي، فليس من ورائها الآن نائل ولا طائل، يقول متابعا لما سبق: "إن الفقه الإسلامي لا ينشأ في فراغ، ولا يعيش في فراغ، كذلك لا ينشأ في الأدمغة والأوراق، إنما ينشأ في واقع الحياة، وليست أية حياة، إنما هي حياة المجتمع المسلم على وجه التحديد؛ ومن ثم لا بد أن يوجد المجتمع المسلم أولاً بتركيبه العضوي الطبيعي، فيكون هو الوسط الذي ينشأ فيه الفقه الإسلامي ويطبق ... ذلك أن هذا الدين لا يعترف ابتداء بشرعية وجود هذه المجتمعات الجاهلية، ولا يرضى ببقائها؛ ومن ثم فهو لا يعني نفسه بالاعتراف بحاجاتها الناشئة من جاهليتها ولا بتلبيتها كذلك ... وإذا كنا لا نملك افتراض أصل حاجات المجتمع حين يكون مسلماً ولا حجم هذه الحاجات أو شكلها، بسبب اختلاف تركيبه العضوي عن تركيب المجتمع الجاهلي، واختلاف تصوراته ومشاعره وقيمه وموازينه، فما هذا الضنى في محاولة تحوير وتطوير وتغيير الأحكام المدونة لكي تطابق حاجات هي في ضمير الغيب، شأنها شأن وجود المجتمع المسلم ذاته؟"[9]
ويظل صاحب الظلال يدندن حول هذا المعنى؛ ليؤكده، ويزيل غموضه، فيقول مفصحا من غير مواربة: "إن نقطة البدء في المتاهة كما قلنا هي افتراض أن هذه المجتمعات القائمة هي المجتمعات الإسلامية"[10]
ولنتأمل هنا كيف يستغل صاحب الظلال بلاغته في تقرير فكرة ما، ثم يبني عليها ببراعة غيرها، حتى يصل إلى مبتغاه، فتظهر معانيه التي قصدها، وناور من أجل الظفر بها، كأنها في عين القارئ سلسلة عجيبة متصلة، ليقبلها كلَّها عقلُه، ويعيشها بكليتها قلبُه، وجميعها تصل به إلى محطة أخيرة، هي تجهيل المجتمع المسلم، والاستعلاء عليه، واحتقاره، يقول: "قد آن للإسلام أن يستعلي في نفوس دعاته، فلا يجعلوه مجرد خادم للأوضاع الجاهلية، والمجتمعات الجاهلية، والحاجات الجاهلية، وأن يقولوا للناس وللذين يستفتونهم بوجه خاص:

---

[7] في ظلال القرآن، (4/ 2008) .
[8] في ظلال القرآن، (4/ 2009) .
[9] في ظلال القرآن (4/ 2011-2010) .
[10] في ظلال القرآن، (4/ 2011) .

تعالوا أنتم أولاً إلى الإسلام، وأعلنوا خضوعكم سلفاً لأحكامه، أو بعبارة أخرى: تعالوا أنتم أولاً فادخلوا في دين الله، وأعلنوا عبوديتكم لله وحده، واشهدوا أن لا إله إلا الله بمدلولها الذي لا يقوم الإيمان والإسلام إلا به ... وحين يستجيب الناس أو الجماعة منهم لهذا القول؛ فإن المجتمع المسلم يكون قد بدأ أولى خطواته في الوجود، وهذا المجتمع يكون حينئذ هو الوسط الواقعي الحي الذي ينشأ فيه الفقه الإسلامي الحي وينمو؛ لمواجهة حاجات ذلك المجتمع المستسلم لشريعة الله فعلاً، فأما قبل قيام هذا المجتمع فالعمل في حقل الفقه والأحكام التنظيمية هو مجرد خداع للنفس، باستنبات البذور في الهواء، ولن ينبت الفقه الإسلامي في الفراغ، كما أنه لن تنبت البذور في الهواء. إن العمل في الحقل الفكري للفقه الإسلامي عمل مريح؛ لأنه لا خطر فيه، ولكنه ليس عملاً للإسلام، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته، وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالأدب وبالفن أو بالتجارة، أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه الفترة فأحسب والله أعلم أنه مضيعة للعمر وللأجر أيضاً"[11]

وها هو صاحب الظلال يصل إلى أن أخلى وجه الأرض كله من وجود فعلي للإسلام، يقول متابعا الحديث حول الآية نفسها وقد استنبط منها أفكارا وآراء لم يسبقه مفسر إليها: "إن إدراك طبيعة النشأة الإسلامية على هذا النحو الذي لا يتغير، كلما قامت الجاهلية وقامت في وجهها محاولة إسلامية، هو نقطة البدء في العمل الحقيقي البناء لإعادة هذا الدين إلى الوجود الفعلي، بعد أن انقطع هذا الوجود منذ أن حلت شرائع البشر محل شريعة الله في خلال القرنين الأخيرين، وخلا وجه الأرض من الوجود الحقيقي للإسلام، وإن بقيت المآذن والمساجد، والأدعية والشعائر، تخدر مشاعر الباقين على الولاء العاطفي الغامض لهذا الدين، وتوهمهم أنه لا يزال بخير، وهو يمحى من الوجود محواً"[12].

وعند قول الله تعالى: "♌︎⚰︎✆ ✍︎■○⬄☝︎⬂▩♦︎☝︎⬂ ☎︎✂︎❑⭠♦︎♑︎ ◻︎♦︎✆♦︎⑨⇳
♊︎◻︎⬆︎🔔✏︎➚♦︎📄➔☠︎⬉ ✂︎👓︎📀︎♐︎⬂▩☒☝︎⬃☒⭠ ☎︎ ❑◆✆⚰︎♌︎
✍︎♦︎✡︎☺︎♦︎&⬋❑✂︎☎︎ ◻︎♦︎♑︎⭠❑◆ ⌘◻︎❷⬀❸⮜ 📀︎♐︎⮝▤➚☠︎⬀ ☎︎
❑◆✆⚰︎♌︎ ✍︎♦︎➔⬉❑⑩⭠❑✂︎☎︎ ☼♦︎➔⬉⑨⇳ ❑◆📀︎♐︎♦︎♊︎
✍︎➔⬄⬂♉︎♐︎♐︎⌘ ⬉♦︎☪︎▤➚📪︎⬀ ◻︎♑︎⊙♦︎☝︎⭠▤➚☠︎⬀
⮝☒⓿⬂★ॐ👓︎ ❑◆📀︎♐︎♦︎❑⬀ 📫︎☒✡︎➔❸◆☠︎⇳ ❑◆🕮︎❑♌︎◻︎
✂︎👓︎✏︎⮝ 👌︎♦︎➚◻︎ ✂︎👓︎📀︎♐︎⬂☺︎⭠♦︎⬃👌︎♑︎☪︎♑︎✓✗♦︎ ⮳♐︎⮷⮴"[13]،

نجده قد وصل في سلسلته إلى حلقة أخرى؛ إلى فكرة الانسلاخ من المجتمع الجاهلي وقيادته، فهو بعد أن أصل وفصل القول بطغيان الجاهلية وانقطاع الوجود الإسلامي؛ راح يبين الخطوة التالية، يقول: "ثم أن يتجمع هؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله على هذا النحو وبهذا المدلول في تجمع حركي بقيادة مسلمة وينسلخوا من التجمع الجاهلي وقيادته الجاهلية، وهذا ما ينبغي أن يتبينه الذين يريدون أن يكونوا مسلمين فلا تخدعهم عن حقيقة ما هم فيه

[11] في ظلال القرآن (4/ 2012-2011) .
[12] في ظلال القرآن (4/ 2013) .
[13] سورة الأنفال، الآية رقم 19.

خدعة أنهم مسلمون اعتقادا وتعبداً؛ فإن هذا وحده لا يجعل الناس مسلمين ما لم يتحقق لهم أنهم يفردون الله سبحانه بالحاكمية، ويرفضون حاكمية العبيد، ويخلعون ولاءهم للمجتمع الجاهلي ولقيادته الجاهلية. إن كثيرا من المخلصين الطيبين تخدعهم هذه الخدعة، وهم يريدون لأنفسهم الإسلام ولكنهم يُخدعون عنه، فأولى لهم أن يستيقنوا صورة الإسلام الحقيقية، والوحيدة، وأن يعرفوا أن المشركين من العرب الذين يحملون اسم المشركين لم يكونوا يختلفون عنهم في شيء ... وكان شركهم الأساسي يتمثل لا في الاعتقاد ولكن في الحاكمية. وإذا كان ينبغي للطيبين المخلصين الذي يريدون أن يكونوا مسلمين، أن يتبينوا هذه الحقيقة، فإن العصبة المسلمة التي تجاهد لإعادة نشأة هذا الدين في الأرض في عالم الواقع يجب أن تستيقن هذه الحقيقة بوضوح وعمق، ويجب ألا تتلجلج فيها أي تلجلج، ويجب أن تعرّف الناس بها تعريفا صريحا واضحا جازما؛ فهذه هي نقطة البدء والانطلاق، فإذا انحرفت الحركة عنها منذ البدء أدنى انحراف، ضلت طريقها كله، وبنيت على غير أساس"[14].

وعند ما تعرض بالشرح والتعليق على قول الله تعالى: "[illegible]"[15]، قال صاحب الظلال وقد لاح ما كان يصبو إليه، وبان ما انطوى كلامه عليه، وبرز ما كان يومئ إليه، فاستبانت ألفاظه من بعد ما أطلق وَثَاقها، وأرخى خِناقها: "إن المسلمين اليوم لا يجاهدون؛ ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون. إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج"[16]، ثم أردف قائلا من بعد ما نفى وجود المسلمين نفيا قاطعا، ومن بعد ما ظن أنه قد جاء بالبرهان والدليل: "إن نقطة البدء الآن هي نقطة البدء في أول عهد الناس برسالة الإسلام؛ أن يوجد في بقعة من الأرض ناس يدينون دين الحق؛ فيشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن ثم يدينون لله وحده بالحاكمية والسلطان والتشريع؛ ويطبقون هذا في واقع الحياة، ثم يحاولون أن ينطلقوا في الأرض بهذا الإعلان العام لتحرير الإنسان، ويومئذ - ويومئذ فقط - سيكون هناك مجال لتطبيق النصوص القرآنية والأحكام الإسلامية في مجال العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات، ويومئذ - ويومئذ فقط - يجوز الدخول

---

[14] في ظلال القرآن (3/ 1492-1493) .

[15] سورة التوبة،الآية رقم 29.

[16] في ظلال القرآن (3/ 1634) .

في تلك المباحث الفقهية، والاشتغال بصياغة الأحكام، والتقنين للحالات الواقعة التي يواجهها الإسلام بالفعل، لا في عالم النظريات"(17)

وعند الآيات الكريمات من سورة التوبة، من قول الله تعالى: "[illegible] وحتى قوله تعالى: "[illegible]"(18)، قال مساويا بين أهل الكتاب والغالبية العظمى من المسلمين، بل ووصف إسلامهم بأنه دعوى وليس حقيقة، وجعل همه كيف يكشف ويُظْهِر وجهَهم الجاهلي على حقيقته؛ حتى تنطلق النفوس المؤمنة لمواجهتهم من غير تأثم أو شعور بالحرج، يقول: "إن تعرية أهل الكتاب من شبهة أنهم على شيء من دين الله ألزم وأشد ضرورة من بيان حال المشركين الصريحين في شركهم الشاهدين على أنفسهم بالكفر بظاهر عقائدهم وشعائرهم؛ ذلك أن نفوس المسلمين لا تنطلق الانطلاق الكامل لمواجهة الجاهلية إلا حين يتجلى لها تماماً وجه الجاهلية، ووجه الجاهلية مكشوف صريح فيما يختص بالمشركين، وليس الحال كذلك فيما يختص بأهل الكتاب، ومن يزعمون أنهم على شيء من دين الله من أمثالهم، كالشأن في الغالبية العظمى ممن يدعون أنفسهم اليوم مسلمين"(19). فصاحب الظلال هنا قد خطا خطوتين، وأضاف إلى السلسلة حلقتين؛ الخطوة الأولى: تعرية من يدعون أنفسهم اليوم مسلمين، وإزالة قناعهم الزائف، وكشف جاهليتهم، والخطوة الثانية: الحض والتحريض على الانطلالق لمواجهتهم الانطلاق الكامل، بلا تلجلج ولا تأثم ولا تحرج.

وكلما تكلم صاحب الظلال عن أهل الكتاب، تحول إلى الكلام عن جاهلية المسلمين اليوم، وراح يدندن حول خطورة التلجلج في مواجهتها من بعد كشفها وتعريتها، فكأنه قد جعل الحديث عن أهل الكتاب مدخلا لينزلق اللسان وينساب نحو مجتمعات المسلمين التي يراها مجتمعات جاهلية خالصة، يتجلى ذلك في معرض حديثه حول قول الله تعالى: "[illegible]

(17) في ظلال القرآن (3/ 1634) .

(18) سورة التوبة، من الآية رقم 29، وحتى الآية رقم 34.

(19) في ظلال القرآن (3/ 1646).

[illegible] "[20]، حيث يقول ناشرا عن طويته، وكاشفا عن سريرته: "إن هذه اللافتة المضللة[21] التي ليس وراءها شيء من الحقيقة تحول دون الانطلاق الإسلامي الكامل لمواجهة الجاهلية فتتحتم إذن إزالة هذه اللافتة، وتعريتهم من ظلها الخادع، وكشفهم على حقيقتهم الواقعة"[22] ثم قال: "والسذج ممن يدعون أنفسهم مسلمين يخدعون في هذه اللافتة، ومن هؤلاء السذج كثير من الدعاة إلى الإسلام في الأرض فيتحرجون من إنزالها عن الجاهلية القائمة تحتها، ويتحرجون من وصف هذه الأوضاع بصفتها الحقيقية التي تحجبها هذه اللافتة الخادعة؛ صفة الشرك والكفر الصريحة، ويتحرجون من وصف الناس الراضين بهذه الأوضاع بصفتهم الحقيقية كذلك، وكل هذا يحول دون الانطلاق الحقيقي الكامل لمواجهة هذه الجاهلية مواجهة صريحة لا تحرج فيها ولا تأثم ... بذلك تقوم تلك اللافتة بعملية تخدير خطرة لحركات البعث الإسلامي، كما تقيم حاجزاً دون الوعي الحقيقي ودون الانطلاق الحقيقي لمواجهة جاهلية القرن العشرين ... هؤلاء السذج من الدعاة إلى الإسلام أخطر في نظري على حركات البعث الإسلامي من أعداء هذا الدين الواعين الذين يرفعون لافتة الإسلام على الأوضاع والحركات والاتجاهات والأفكار والقيم والتقاليد التي يقيمونها ويكفلونها لتسحق لهم هذا الدين. إن الواجب الأول للدعاة إلى هذا الدين في الأرض أن ينزلوا تلك اللافتات الخادعة المرفوعة على الأوضاع الجاهلية ... وإن نقطة البدء في أية حركة إسلامية هي تعرية الجاهلية من ردائها الزائف، وإظهارها على حقيقتها شركاً وكفراً، ووصف الناس بالوصف الذي يمثل واقعهم، كيما تواجههم الحركة الإسلامية بالطلاقة الكاملة، بل كيما ينتبه هؤلاء الناس أنفسهم إلى حقيقة ما انتهى إليه حالهم، وهي الحقيقة التي انتهى إليها حال أهل الكتاب"[23].

وعند قول الله تعالى: "[illegible]

---

[20] سورة التوبة، الآية رقم 30.

[21] يقصد بها: تلك اللافتات المعنوية الكاذبة الخادعة التي يرفعها المشركون والجاهليون عامة، وأهل الكتاب خاصة؛ معززين بها موقفهم، وأنهم على شيء.

[22] في ظلال القرآن، (3/ 1648) .

[23] في ظلال القرآن (3/ 1649-1650) .

⇗⌧⌧♉⇘⇚"[24]؛ تحدث بكلام مطول عن مدلول مصطلح العبادة كما يراه، وعما سماه بالخط الحركي للعقيدة الإسلامية، ثم دلف إلى الحديث عن الجاهلية، ورمى بها المسلمين عن بكرة أبيهم، فهم في نظره منحرفون في تصور دلالة شهادة التوحيد، وكُفْرُهُم في رأيه ككفر الأولين من الكفار والمشركين، يقول: "إن البشرية اليوم بجملتها تزاول رجعية شاملة إلى الجاهلية التي أخرجها منها آخر رسول؛ محمد صلى الله عليه وسلم، وهي تتمثل في صور شتى: بعضها يتمثل في إلحاد بالله سبحانه، وإنكار لوجوده؛ فهي جاهلية اعتقاد وتصور، كجاهلية الشيوعيين، وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه، وانحراف في الشعائر التعبدية وفي الدينونة والاتباع والطاعة، كجاهلية الوثنين من الهنود وغيرهم، وكجاهلية اليهود والنصارى كذلك، وبعضها يتمثل في اعتراف صحيح بوجود الله سبحانه، وأداء للشعائر التعبدية، مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومع شرك كامل في الدينونة والاتباع والطاعة، وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم مسلمين، ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحقوقه بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبدية، مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين، ومع استسلامهم ودينونتهم لغير الله من العبيد، وكلها جاهلية، وكلها كفر بالله كالأولين، أو شرك بالله كالآخرين. إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح؛ تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة ... وهذا بدوره يحدد طبيعة الدور الأساسي لطلائع البعث الإسلامي، والمهمة الأساسية التي عليها أن تقوم بها للبشرية، ونقطة البدء الحاسمة في هذه المهمة، إن على هذه الطلائع أن تبدأ في دعوة البشرية من جديد إلى الدخول في الإسلام كرة أخرة، والخروج من هذه الجاهلية النكدة التي ارتدت إليها"[25]. العجيب هنا أن معتقده في الجاهلية قد أَذِنَ له بأن يجمع الشيوعيين والوثنيين مع اليهود والنصارى في سلَّة واحدة، ثم جاء بالمعضلة الكبرى، والمشكلة العظمى، بأن رمى مع أولئك في تلك السلة البائسة جموعَ المسلمين!! لقد التهم الجميعَ وحشُ الجاهلية القطبي؛ أعني الذي صنعه صاحب الظلال على عينه، فلم يُبْقِ منهم ولم يَذَرْ؛ فالكل أمام ناظريه سواء، غالبيتهم كفار ومشركون، والباقون مرتدون!!

وعند تعرضه لقول الله تعالى: "✂✍✍💻⬂◆❑☺⇧⑨← ✍★
✂✍✍✍⅄🔔♎❽ ❀⍓◨■🖃◆ ✂✍✍♏○○☺⍓◷❑◆◷☠♎
❑◆✂✍✍❀☞❻⇗✔◆ ❑◆♉⍓→⍓✎•
✂✍✍♏→♋☹↗✎◆◷☼♎ ❑◆✂✍✍♏☾❻❑❻◆ ☎ ⚐→⚐○
✂✍✍⅄🔔♎⇦✖◆ ✍⌧▦⌧❷↖❑✂☎
🖃♎♎♐♎☒❷◆⚿♎♏♎☠⇗→◆⇗⑨♎♏↗❑♍♌ ⇗⇘⇚ ♎→❑◆
✂✍✍⅄🔔♎❽ ⌘⍓◨■◑•⍓☠ ✌♓♎♊ ⊂♎✓✖🕮 ⚐→⚐○
🔔•✂✂❀✂ 🕮❑♉⍓⌧✚ ☎ ❑◆🕮❑♉⍓✎◀ ✌⑩○❀☹⑦❻
↖♎☼⑨⍓■←① ☎ ⚐→⚐○ 🕮❑☼☞←⚐⇔

[24] سورة هود، الآية رقم 123.
[25] في ظلال القرآن (4/ 1945-1946) .

✍♦☺⇧✋♦❸←❒♌♦ ✍✂✂"[26]، راح يصف إسلام المسلمين بأنه مجرد وهمِ واهمٍ، ودعْوَى مُدَّعٍ، فهم خارج الملة تماما ما داموا لا يعملون بالحاكمية على وجهها القطبي، حتى العوامَّ منهم والطيبين، وحتى مجتمعاتهم وديارهم، يقول: "والناس يتوهمون أنهم يعيشون في مجتمع مسلم، وأنهم هم كذلك مسلمون، أليس الطيبون منهم يصلون ويصومون؟ أما أن تكون الحاكمية لله وحده أو تكون للأرباب المتفرقة، فهذا ما قد خدعتهم عنه الصليبية والصهيونية والتبشير والاستعمار والاستشراق وأجهزة الإعلام الموجهة، وأفهمتهم أنه لا علاقة له بالدين، وأن المسلمين يمكن أن يكونوا مسلمين، وفي دين الله، بينما حياتهم كلها تقوم على تصورات وقيم وشرائع وقوانين ليست من هذا الدين"[27].

وما زال يؤكد أن إسلام المسلمين في هذه الآونة إنما هو زعم ووهم، يتجلى ذلك في كلامه عن قول الله تعالى: "❒❒⬄ ✍♦❷♦ ☽❍■❼

✂✍❒↑❒✍➔❒✂☎ ☼♦⊙⬁⑩⌨✡✂✍
✂✍♑⊙⬁☝♦⊙❒✍ ⑨⇕◸♦❒⬀♌♦
❼■☐☽ ✍☞♦⊙❒✍ ✂✍✏★ ♑⑩♦⬄▤⇗☠⌘
❍❷♦◸❒♦✍♦❒♦❼ ⊙➔❒ ⬄❒✡❒❹♦◸
⑩➔✂❷❒ ☠➔♎♦❒ ⬄❒←♑☒✡♓✍
❶♦⊙♑✍❒ ◰⌨✍ ⬄❒←♑❄☼❒♗☽ ☎✂❒⬈♑✍♦♎ ♊♦♑
♦❍☽ ↓❻✍❒✡♑✍✂ ✍❒✡○○◰☺♦✍
☎ ⌨☠⊙◰⑩❒←⑨⬀➔❒✍ ✍✡✍✸③❒🕮
✍❒✍ ❒☽♍♑✡③♑⑩ ❼☽✗ ⬀☠➔♎○❹☒↘♦❒
✍♦✍☼←❒✂☎ ③♦▦⬂✋♦❸←❒♍♐ ✍✂✂"[28]، حيث يقول:

"هكذا يعجب الله من أهل الكتاب حين يعرض بعضهم - لا كلهم - عن الاحتكام إلى كتاب الله في أمور الاعتقاد وأمور الحياة، فكيف بمن يقولون: إنهم مسلمون، ثم يخرجون شريعة الله من حياتهم كلها، ثم يظلون يزعمون أنهم مسلمون ... ومثل أهل الكتاب هؤلاء مثل من يزعمون اليوم أنهم مسلمون، ثم يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون، وفيهم من يتبجحون ويتوقحون، ويزعمون أن حياة الناس دنيا لا دين، وأن لا ضرورة لإقحام الدين في حياة الناس العملية وارتباطاتهم الاقتصادية والاجتماعية، بل العائلية، ثم يظلون بعد ذلك يزعمون أنهم مسلمون، ثم يعتقد بعضهم في غرارة بلهاء أن الله لن يعذبهم إلا تطهيراً من المعاصي، ثم يساقون إلى الجنة! أليسوا مسلمين؟ إنه نفس الظن الذي كان يظنه أهل الكتاب هؤلاء، ونفس الغرور بما افتروه ولا أصل له في الدين"[29]. ومن الملاحظ هنا لجوء صاحب الظلال إلى الخلط والإيهام والسخرية والاستهزاء؛ فخلط بين حال العلمانيين الذين يدينون بالعلمانية بمعناها الاصطلاحي اللاديني وبين حال المسلمين عامة؛ ليوهم القارئ أن العلمانية قد دان بها كل من لم يدن بالحاكمية على وجهها القطبي، ثم عمد إلى أسلوب

---

[26] سورة الأنعام، الآيتان 2،1.
[27] في ظلال القرآن (2/ 1033) .
[28] سورة آل عمران، الآيتان 23-24.
[29] في ظلال القرآن (1/ 382-383) .

السخرية؛ ليؤكد على ما كان يرنو إليه، وليصل بالقارئ إلى ما يروم الوصول إليه، فراح يسخر من حسن ظن المسلمين بربهم، ومن جميل رجائهم في رحمته، ومن اعتقادهم والذي هو اعتقاد أهل السنة في عدم خلود أهل التوحيد في النار، وأن أهل المعاصي والكبائر منهم هم تحت المشيئة؛ إن شاء عذبهم الله حينا من الدهر تطهيرا لهم، وإن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة بلا سابقة عذاب.

إن المسلمين جميعا في نظر صاحب الظلال هم من أهل الادعاء، وهو لا يراهم يدَّعون أنهم على الإيمان والصلاح؛ بل يرى أنهم يدَّعون الإسلام أصلا وإجمالا، وهم في ظنه على خلاف ذلك، يقول: "فلينظر المسلمون في أنحاء الأرض أين هم من هذا الأمر، أين هم من الدين وأين هم من الإسلام، إن كانوا ما يزالون يصرون على ادِّعائهم للإسلام"[30].

وفي موضع آخر، بل في مؤلف آخر من مؤلفاته، يقول مؤكدا ما ذهب إليه آنفا: "ولقد نقض هذا الدين عروة عروة، فلينظر الذين يدعون أنفسهم مسلمين أين هم من هذا الدين؟ ولتنظر العصبة المؤمنة فى الأرض من أين تبدأ طريقها لإقامة هذا الدين؟"[31].

وعند قول الله تعالى: "❒◆☽⍰❶♦✁ ✍➔✌✍⬀▪■❻▤
⬂◆▪■⓿⬂♑⍰⚐⬄ ⬈◆✁③◆🕔☞⬅✡❒✍ ♫♦✍◉ϑ⬈❒✁☎
⇳⑨♦♫ ♋◎◉☺⍰➔⬀✡❒✍ ◉ϑ♦❒⬁ ♦■⌖♦✍✎⬈⬇
ϑ♦◉☽➔▪✡❒✍ ✌⍰✦⬀✍♦ ♎◎🕔⓿☒✁✎ · ☽⍰♍⬄
♎◎🕔⓿☒✁✎ ☽⍰♦♏ 📖❒♋◎🕔⊃⍰❷❸⬅
✁✍✿☞❒❒◉ϑ⍰✓✖♦ ⇯ ⇰ ▧ ⇫"[32]؛ يقول معرضا بإسلام المسلمين اليوم: "لم يكن مدلول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هو هذا المدلول الباهت الفارغ الهزيل الذي يعنيه اليوم من يزعمون أنهم مسلمون لمجرد أنهم يشهدون هذه الشهادة بألسنتهم، ويؤدون بعض الشعائر التعبدية، بينما ألوهية الله في الأرض وفي حياة الناس لا وجود لها ولا ظل، وبينما القيادات الجاهلية والشرائع الجاهلية هي التي تحكم المجتمع وتصرف شؤونه"[33]. فجعل صاحب الظلال النطق بالشهادتين وأداء الشعائر التعبدية، جعل ذلك كله مدلولا باهتا فارغا هزيلا!! أوهكذا تورد الإبل يا سعد؟! أمن أجل أن تدعو المسلمين إلى السعي إلى تطبيق أحكام الإسلام في دنيا الناس؛ تصف إسلامهم بأنه مجرد زعم ووهم ودعوى ليس لها أساس؟! أمن أجل أن تدعوهم إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة تطبيقا وعملا؛ تصفهم بالانسلاخ التام من دين الله، وتنفي وجود الإسلام في أرض الله؟!

إن صاحب الظلال لا يرى الإسلام ولا المسلمين إلا من خلال عدستين؛ الحاكمية والجاهلية؛ ولذلك فهو يصف النطق بالشهادتين، وقد ضم إليه كثيرا من شعائر الإسلام وعباداته وأحكامه، بالركن الضيق، وأما ركن الدين الركين، وعماده الأعظم المتين، فهو عنده الحاكمية، ويبني على ذلك نظرته إلى المسلمين اليوم، فإن إسلامهم في نظره ما هو إلا ظن منهم وزعم وادِّعاء، وليتأمل القارئ كيف كان تفسيره لقول الله تعالى: "♎◎🕔⓿☒✁

(30) في ظلال القرآن (2/ 81)
(31) مقومات التصور الإسلامى (ص 178).
[32] سورة الأنفال، الآية رقم 31.
[33] في ظلال القرآن (3/ 1503).

[illegible]"[34]؛ فقد قال:

"والذين يظنون أنفسهم في«دين الله»؛ لأنهم يقولون بأفواهم «نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، ويدينون لله فعلاً في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث، بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيق لغير الله؛ ويخضعون لشرائع لم يأذن بها الله، وكثرتها مما يخالف مخالفة صريحة شريعة الله، ثم هم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم أرادوا أم لم يريدوا ليحققوا ما تتطلبه منهم الأصنام الجديدة، فإذا تعارض دين أو خلق أو عرض مع مطالب هذه الأصنام، نبذت أوامر الله فيها ونفذت مطالب هذه الأصنام. الذين يظنون أنفسهم «مسلمين» وفي «دين الله» وهذا حالهم؛ عليهم أن يستفيقوا لما هم فيه من الشرك العظيم، إن دين الله ليس بهذا الهزال الذي يتصوره من يزعمون أنفسهم «مسلمين» في مشارق الأرض ومغاربها"[35].

وعند قول الله تعالى: "[illegible]"[36]؛ يقول مؤكدا على أن إسلام المسلمين اليوم هو مجرد زعم ليس عليه دليل: "وهؤلاء الذين يزعمون أنفسهم «مسلمين» في مشارق الأرض ومغاربها، قاعدون، لا يجاهدون لتقرير ألوهية الله في الأرض، وطرد الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبية وخصائصها في حياة العباد، ولا يقتلون ولا يقتلون"[37].

ثم هاهو يجعل المسلمين اليوم كاليهود تماما بتمام؛ فهؤلاء وأولئك عنده سواء؛ إذ الجميع عنده أهل دعوى وزعم، لا حقيقة أو يقين، يقول عندما تعرض بالتعليق على قول الله تعالى:

"[illegible]

---

[34] سورة إبراهيم، الآية الأخيرة، رقم 52.

[35] في ظلال القرآن (4/ 2115).

[36] سورة التوبة، من الآية رقم 111.

[37] في ظلال القرآن (3/ 1717).

"وما شأن هؤلاء اليهود ❓🕂☺⬂⚐❓☽ ✍ ❿⌨❓❹☾⏲ ✍ ✍ ❓✍⬗"(38): "وما شأن هؤلاء اليهود إلا شأن من يزعمون الإسلام اليوم، ويحسبون أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله لا بد ناصرهم، ومخرج لهم اليهود من أرضهم، بينما هم ينسلخون انسلاخاً كاملاً من دين الله الذي هو منهجه للحياة، فينبذونه من حياتهم، ولا يتحاكمون إلى كتاب الله لا في أقضيتهم ولا في اقتصادهم، ولا في اجتماعهم، ولا في آدابهم، ولا في تقاليدهم، وكل ما لهم من الإسلام أسماء المسلمين! وأنهم ولدوا في أرض كان المسلمون يسكنونها ذات يوم"(39).

ويبالغ صاحب الظلال مبالغة شديدة في وصف أشياء بعينها بأنها بمثابة أصنام كالأصنام الوثنية الجاهلية التي كانت تعبد من دون الله تعالى، فيقول عند قول الله تعالى:

"⬩▫⬛☺●✍ ✎ ⬈◆✂✍⬩♍♑←☺⍓✍ ◴✿⏲⬛❓⬩☯✍

♉⍓➔⍓⌧⬩ ♍⬩○←⏲ ⌖→❸◆✍⌧♎✍⬈◆ ▫♌⓾☺⍓✍✎

⬈◆✂✍⬩♍♑←☺⍓✍ 🗐 ▫⬩✍⬥➔⍓⏲✍⬛❼ ✂✍✎✦

⬉◆☺●✍ ④ ← ⌑ ⇧❸❓✍⬈❏♌◆ ✍✍✍⬗⬗"(40): "على أننا نرى في زماننا هذا صنوفاً وألواناً من الشرك؛ ممن يزعمون أنهم يوحدون الله ويسلمون له، ترسم لنا صورة من مدارج الشرك التي ترسمها هذه النصوص، إن الناس يقيمون لهم اليوم آلهة يسمونها « القوم » ويسمونها « الوطن »، ويسمونها « الشعب » . . إلى آخر ما يسمون، وهي لا تعدو أن تكون أصناماً غير مجسدة، كالأصنام الساذجة التي كان يقيمها الوثنيون، ولا تعدو أن تكون آلهة تشارك الله سبحانه في خلقه"(41). فهلا أضاف صاحب الظلال لهذه الأصنام في زعمه أشياء أخرى كالهيئات السرية وكبرائها ومهندسيها، والجماعات وأمرائها ومرشديها، والتنظيمات الحركية وقاداتها ومنظريها، والأحزاب ورؤسائها ومديريها؟! فما الفارق بين هذه الأشياء أوالأسماء وتلك؟ فالجامع بينها جميعا واحد، بل هو أشد ظهورا، وأخطر تصورا في الهيئات السرية والجماعات الحركية والتنظيمات الحزبية من القوم والشعب والوطن، ولكن صاحب الظلال يرى الأسماء ومسمياتها أصناما إذا ألجأته إلى ذلك نظارة الحاكمية، فما رآه منها يمت بصلة إلى الحكام والأنظمة؛ فهو الجاهلية الأولى، الوثنية بعجرها وبجرها، وهو الشرك الأكبر، والكفر البواح، وهو الخروج من الملة، وأما ما أظهر منها المناوأة والعداوة للحكام والأنظمة؛ فإنما هي روح الإسلام وحقيقته، وكنهه وقضيته!! أفليست هذه قسمة ضيزى؟! أليس هذا من الكيل بمكيالين؟!

وحينما تعرض في تفسيره لقول الله تعالى: "❏◆✂✍⬂⬃⬛☺←❏☑✂☎

🕮❏☼❃☺⍓✍ ⬊⌧✡♌☺⇧☝←☠ ♈♓♌♊ ★⌧♂⇔⬈🕮

▫⬩🕯❏♌❏ ✎★ ”➔🖗←○✿○←⏲ ❏◆♍♌⬛❷▪♋←❏✌✍

❏◆✍❓🕭♌❽ ✂✍♍⬂☽→❷⬀🗁⬛❼🗐

❏◆✂✍♍⬂❿◆☝◆⏲☺⍓❼🗐

❏◆✂✍♍⬂☺⍓○✿⏲▤⬁✓✗⬀ ❏◆✂✍⬙⬀⬂⬗

---

(38) سورة النساء، الآيتان 49، 50.

(39) في ظلال القرآن (2/ 679-680) .

(40) سورة الأعراف، الآية رقم 190.

(41) في ظلال القرآن (3/ 1413).

[illegible] "(42)؛ قال نافيا وجود الأمة المسلمة، وكذلك المسلمين؛ حكاما ومحكومين، وآتيا بما لم يأت به مفسر لهذه الآية على وجه الأرض من قبل: "موضوع الغنائم بجملته ليس واقعاً إسلامياً يواجهنا اليوم أصلاً؛ فنحن اليوم لسنا أمام قضية واقعة، لسنا أمام دولة مسلمة وإمامة مسلمة وأمة مسلمة تجاهد في سبيل الله، ثم تقع لها غنائم تحتاج إلى التصرف فيها، لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية أول مرة، ورجع الناس إلى الجاهلية التي كانوا عليها، فأشركوا مع الله أرباباً أخرى تصرف حياتهم بشرائعها البشرية، ولقد عاد هذا الدين أدراجه ليدعو الناس من جديد إلى الدخول فيه، إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إلى إفراد الله سبحانه بالألوهية والحاكمية والسلطان، والتلقي في هذا الشأن عن رسول الله وحده، وإلى التجمع تحت قيادة مسلمة تعمل لإعادة إنشاء هذا الدين في حياة البشر، والتوجه بالولاء كله لهذا التجمع ولقيادته المسلمة، ونزع هذا الولاء من المجتمعات الجاهلية وقياداتها جميعاً، هذه هي القضية الحية الواقعية التي تواجه اليوم هذا الدين، وليس هناك في البدء قضية أخرى سواها، ليس هناك قضية غنائم، لأنه ليس هناك قضية جهاد، بل ليس هناك قضية تنظيمية واحدة، لا في العلاقات الداخلية ولا في العلاقات الخارجية، وذلك لسبب بسيط: هو أنه ليس هناك مجتمع إسلامي"(43). إن صاحب الظلال في تفسيره للآية السابقة، قد ركب مركبا صعبا، وخاض سبيلا جائرا، وصعَّب الأمور على نفسه وعلى المسلمين، ولو أنه أمر بالمعروف بمعروف، ونهى عن المنكر بغير منكر، ويسر ولم يعسر، وبشر ولم ينفر، وعذر بالجهل، وسعى بالعلم، وأشفق على الأمة، وأدرك الملمة، ونادى بالائتلاف، ونأى عن التكفير والاختلاف؛ لكانت الثمرة المرجوة من فضل الله الذي عليه قصد السبيل.

وعندما أراد صاحب الظلال أن يفسر قول الله تعالى: " [illegible]

(42) سورة الأنفال، الآية رقم 41.

(43) في ظلال القرآن (3/ 1519-1518).

"[illegible]"[44]؛ غلبت عليه فكرته حول المفاصلة، تلك المفاصلة التي أراد أن يطبقها على كل من حوله؛ إذ الأسماء ومسمياتها عنده مختلفة، فالجماعة المسلمة، ودار الإسلام، والتمكين، والجاهلية، والكفار، والطاغوت، كل ذلك كان معناه عند صاحب الظلال مختلفا، يقول: "إنه لا بد أن تقف العصبة المسلمة في الأرض، من الجاهلية التي تغمر الأرض، هذا الموقف، لا بد أن تقذف في وجهها بكلمة الحق هذه عالية مدوية، قاطعة فاصلة، مزلزلة رهيبة، ثم تتجه إلى الله تعلم أنه على كل شيء قدير، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأن هؤلاء العباد بما فيهم الطواغيت المتجبرون أضعف من الذباب ... ولا بد أن تستيقن العصبة المسلمة كذلك أنها لن تنصر، ولن يتحقق لها وعد الله بالتمكين في الأرض، قبل أن تفاصل الجاهلية على الحق عند مفترق الطريق، وقبل أن تعلن كلمة الحق في وجه الطاغوت، وقبل أن تشهد على الجاهلية هذا الإشهاد، وتنذرها هذه النذارة، وتعلنها هذا الإعلان، وتفاصلها هذه المفاصلة، وتتبرأ منها هذه البراءة ... وقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا القرآن لينشىء الإسلام في الأرض إنشاء"[45].

وعند قول الله تعالى: "[illegible]"[46]؛ يظهر بما لا يدع مجالا للشك تكفيره للمسلمين اليوم تكفيرا أكبر، مخرجا عن الملة، ويدل على ذلك اللفظ، والسياق، والقرينة، والاستشهاد، وضرب الأمثال؛ يقول: "والبشرية اليوم في موقف كهذا الذي كانت فيه يوم جاءها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب، مأموراً من ربه أن ينذر به ويذكر، وألا يكون في صدره حرج منه، وهو يواجه الجاهلية، ويستهدف تغييرها من الجذور والأعماق. لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاءها هذا الدين، وانتكست البشرية إلى جاهلية كاملة شاملة للأصول والفروع، والبواطن والظواهر، والسطوح والأعماق، انتكست البشرية في تصوراتها الاعتقادية ابتداء حتى الذين كان آباؤهم وأجدادهم من المؤمنين بهذا الدين، المسلمين لله، المخلصين له الدين، فإن صورة العقيدة قد مسخت في تصورهم ومفهومهم لها في الأعماق، ... جاء هذا الدين ليقيم قاعدة: "أشهد أن لا إله إلا الله" ... هذه هي قاعدة هذا الدين من ناحية الاعتقاد، فأين منها البشرية كلها اليوم؟ إن البشرية تنقسم شيعاً كلها جاهلية؛ شيعة ملحدة تنكر وجود الله أصلاً وهم الملحدون، فأمرهم ظاهر لا يحتاج إلى بيان، وشيعة وثنية تعترف بوجود إله، ولكنها تشرك من دونه آلهة أخرى وأرباباً كثيرة ... وشيعة «أهل كتاب» من اليهود والنصارى ... وشيعة تسمي نفسها مسلمة وهي تتبع مناهج أهل الكتاب هذه حذو النعل بالنعل، خارجة من دين الله إلى دين العباد؛ فدين الله هو منهجه وشرعه ونظامه الذي يضعه للحياة وقانونه، ودين العباد هو منهجهم للحياة وشرعهم ونظامهم الذي يضعونه للحياة وقوانينهم. لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية؛ وانتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية، شيعها جميعاً لا تتبع دين الله أصلاً، وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة، يستهدف منها نفس ما استهدفه في المرة الأولى من إدخالها في الإسلام ابتداء من ناحية العقيدة والتصور، ثم إدخالها في دين الله

[44] سورة الأنعام، الآية رقم 19.
[45] في ظلال القرآن (2/ 1058-1059).
[46] سورة الأعراف، الآية رقم 2.

بعد ذلك من ناحية النظام والواقع، وعاد حامل هذا الكتاب يواجه الحرج الذي كان يواجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يواجه البشرية الغارقة في مستنقع الجاهلية"[47].

وعند تعرضه لقول الله تعالى: "⇱☠⌀&⬀❸■🖬♦⇱ ⇳💣♦📪⌇❸→⌇
✍♦👌 ♦×⬂⇦❒🕮 ➔◘⅄⌇⌇♏🔔✏✍✂
⌘♊⌇♓👌 ⌇✍⬀⌛◘♦🕘🗎 ·♦⌇◗ ☎✂☑❑→▦☜◗➔⚐
➥☐✍☐✡⌇✍✂ ⌘♊⌇♓👌 ⌇✍⬀⌛⍓❍◆❒ ★✏✍✂
★✏✍✂ ⌘♊⌇♓👌 🖫🖬•⌀♦⬄⌇📪 ❒↓↗✏✍♦📪◆❒
⇱☠⌀&⬀❸■🖬♦⇱ ⇳💣♦📪⌇❸→⌇◆❒
☙①⌇⌇🕓♦❶ 🗐 ➔◘◆☪♦🗏⬄❍⍓☺⬂⌇✍✂
♦♌❒⇱❷→▦⬁🗏♦③ ☎✂❑←☼🔔☒📫 ⬀☠←♑❈☼❒🕯⌇📪
♦♌❑➔🖬←✌⬂◗♦③◆❒ ★✏✍✂ ⌇💣🕐♦③✍♦★⌇📪
⌇♎📪⍓❍ ⌇❸⬀❷♦⬄⌇📪 ◆↗✏✍◆⑩⌇🖭📪☼☞🏵✍✂
☎✂❑✿🕐♦⇱ ✍⍓☺⌇📪 ⍓🖮⌇⌇🕓♦❶ 🗐
؛"[48]⮈⮊⮊⯐⯑ ♦♌❒←⑨♦✌⬃➔♦③ ☎✂❑←☼🔔☒📫☐❒

يجده القارئ وقد نحا إلى التكفير الصريح نحوا، وجعله غاية وهدفا، واتخذه مركبا ومنطلقا، فجعله دليلا ومستدلا عليه في آن، يقول: "فالكفر بآيات الله، سواء بإنكارها أصلاً، أو عدم الاحتكام إليها وتنفيذها في واقع الحياة، وقتل الأنبياء بغير حق، وقتل الذين يأمرون بالقسط

---

[47] في ظلال القرآن (3/ 1255-1256).

[48] سورة آل عمران، الآية رقم 112.